قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية

مجلة البحوث والدراسات الاسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

مصادر الوحي في كتاب الشخصية المحمدية قراءة نقدية

The Sources of Revelation in The Muhammadan Personality: A Critical Study

م. د وسن عبد الأمير حمود*

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/جامعة ذي قار/مركز ذي قار للدراسات التاريخية والاثارية

Keywords

Abstract

This study aims to shed light on the historical sources employed by Maʿrūf al-Ruṣāfī in *al-Shakhṣiyyah al-Muḥammadiyyah* with regard to the concept of revelation (waḥy). It is primarily concerned with analyzing and critically examining these sources exclusively. The researcher also discusses the apparent inconsistency in al-Ruṣāfī's treatment of his sources within the aforementioned work, as he largely rejected systematic documentation of references, a practice that does not conform to established academic methodology. Consequently, his writing departs from historical scholarship and shifts toward a subjective and emotionally driven narrative. The ideas and viewpoints presented therein reflect al-Ruṣāfī in his capacity as a journalist rather than as a historian.

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال:

المراجعة:

القبول: ٢٠٢٦/٦/١

الكلمات المفتاحية:

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على المصادر التاريخية التي استخدمها معروف الرصافي في كتاب الشخصية المحمدية في مفردة الوحي، اذ تقوم الدراسة على تحليل ونقد هذه المصادر دون غيرها، وقد ناقشت الباحثة التناقض الذي صدر من الرصافي حول توظيف هذه المصادر لكتابه الشخصية المحمدية، وكان يرفض توثيق أغلب معلومات الكتاب بمصدرها، ولا يعد ذلك ضمن الأسلوب العلمي، فابتعدت كتابته عن التأريخ وأصبحت كتابة نفسية انفعالية، وما ورد فيها من أفكار واراء تمثل شخص الرصافي كصحفي وليس كاتباً للتاريخ .

Dr . Wasan Abdul Ameer Hamoud

Wasin_a@utq.edu.iq

١. المقدمة

أن السيرة النبوية من اهم الدراسات التاريخية وتعد من الدراسات المفصلية في معظم الأحداث التي تخص ما قبل وبعد بعثة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، والأهم من ذلك معرفة صحة المصادر التي يستند عليها الباحث العلمي بتوظيف المعلومة فضلاً عن المنهج و الأسلوب العلمي بعرض الاحداث، وجدت الباحثة أن كتاب الشخصية المحمدية يوجد فيه العديد من المواضيع التي لا تمت الى بالإسلام بصلة، سواء على الصعيد الديني أو العقائدي أو التاريخي، لأنه منذ مقدمة الكتاب أوضح للقارئ ما هو توجهه وميوله بقول: (بسم الحقيقة المطلقة)، وأنه لم يعترف بنبوة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ويدعي أن القرآن الكريم هو من تأليفه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعدم اعترافه بمعجزات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقلل من شأن بعض كُتاب التاريخ وأساء لهم .

لقد وقع اختيار الباحثة على أعداد دراسة نقدية تخص جزئية من هذا كتاب الشخصية المحمدية فكان الموضوع يخص المصادر التي اعتمدها الرصافي في مفردة الوحي، وما الدافع الذي جعل الرصافي ان يعتمد بنسبة كبيرة على صاحب السيرة الحلبية وتغيير كتاباته من الفترات المتأخرة وعلى الرغم من توظيف هذا المصدر الا أنه يوجه له الانتقاد، بالإضافة إلى السيرة النبوية لابن هشام وكيف انه نقح وهذب الكثير من سيرة ابن اسحاق .

والمفارقة عند الرصافي انه استخدم الأسلوب الانتقائي لهذه المصادر وفق ما يلائم فكره وآراءه، لكن نجده يُعطي اراءً شخصية تمثل جانب نفسي وانفعالي لم يوثقها بمصدر، وعليه كانت هذه الدراسة تحلل طبيعة هذه المصادر التي لا تخلو من الطابع القصصي والأسطوري والروايات الاسرائيلية، والشيء بالشيء يُذكر ان هذه المصادر لم توظف فقط بموضوع الوحي فقط وانما رافقت الرصافي طيلة كتابته لكتاب (الشخصية المحمدية) .

لقد أنكر الرصافي الوحي ووصفه بأنه عبارة عن حالات مرضية مر بها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) منها الاختناق والصرع وكل ما حصل للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عبارة عن خيال الا أنه أستطاع بذكائه وعقليته أن يصور للعرب أنه نبي والدافع وراء ذلك مصالح الشخصية ورفع قدر اهل بيته وحُبه للسلطان والملك وليس الإسلام، فكان منهجه اعتباطي وليس منهج البحث العلمي .

جاءت هذه الدراسة بمبحثين، **المبحث الأول:** التعريف بحياة الرصافي وكتاب الشخصية المحمدية، وتطرقنا فيه لأسمه، ونشأته، وأساتذته، والمناصب الادارية والعلمية التي شغلها، ثم التعريف بكتاب الشخصية المحمدية، وكذلك الاشكاليات حول كتاب الشخصية المحمدية، أما **المبحث الثاني:** المصادر التي وظفها الرصافي في مفردة نزول الوحي، وبعدها **الخاتمة:** التي تضمنت أبرز النتائج التي توصلت اليها هذه الدراسة .

٢.المبحث الأول: نبذة عن حياة الرصافي وكتابه الشخصية المحمدية

أولاً:- حياة معروف الرصافي:-

اسمه معروف عبد الغني محمود ولد عام (١٨٧٥م) في الرصافة بمدينة بغداد داخل بيت صغير في محلة القراغول، وكان والده كردي النسب بالعودة من عشيرة

الجبارية، وأمه فاطمة بنت جاسم تنسب الى عشيرة القراغول وهي احد بطون قبائل شمر[١]، تتلمذ معروف على يد محمود شكري الألوسي[٢]أستاذه الأول وهو من اطلق عليه اسم الرصافي حتى يكون به مقابلا لمعروف الكرخي[٣].

كان والده عبد الغني محمود في قوات الجندرمة يعمل شرطيا، وذُكر الرصافي انه يحفظ في ذهنه صورة لوالده وقال: ((كان متدينا كثير الصلاة كثير قراءة القرآن، وإنه كان حديد المزاج إذا غضب أخاف وإذا ضرب أوجع)) [٤]، ألا إنه تعلق بشكل كبير بوالدته وترعرع في بيت جده جاسم، وذكر طه الراوي شدة تعلق الرصافي بأمه[٥]فقال: ((زرته مرة في بيته فلمحت على وجهه أمارات الانفعال وآثار الدموع، فلم أكتم عنه فألمحت، فقال لي سمعت إلى قينة جوار منزلي هذا تغني غناءً شجياً أذكرني البيت الذي أعيش فيه وعلى الأخص أمي التي كانت تحنو علي حنواً ما عليه من مزيد، وقد كانت تتعهدني بالعناية جسمً وروحاً، فتعنى بنظافة ثيابي وجسمي، وتسألني عما كنت أقرأ في الكتّاب والمدرسة، وكانت لا يقر لها قرار حتى تراني إلى جنبها، ولا أزال أذكر اهتمامها بمطعمي وملبسي وكل ما يدور حول تهذيبي وتعليمي ومهما تطاولت بي الأيام، فأني لا أزال أذكر عيشتي معها وأحن أليها.)) [٦].

نشأ الرصافي في بغداد حيث أكمل دراسته في الكتاتيب، ثم دخل المدرسة العسكرية الابتدائية ودرس على يد علماء بغداد كالشيخ قاسم القيسي،والشيخ قاسم البياتي، والشيخ عبد الوهاب النائب، والشيخ حلمي القصاب وكان الرصافي يحضر مجلس الالوسي ويستمع الى ما يدور فيه، فقد كتب الالوسي مقالات علمية وادبية في جريدة الزوراء التي أنشأها والي بغداد (مدحت باشا) وتصدر باللغتين العربية والتركية وهي جريدة رسمية صدر العدد الاول منها عام (١٨٦٩م)، وكانت كتاباته لها أثر في أنعاش الجو الأدبي الراكد[٧].

كان الرصافي معلماً في مدرسة الراشدية، ثم اصبح مدرساً في اعدادية ببغداد لمادة الأدب العربي . وعُين مدرساً لمادة اللغة العربية في كلية الشاهينية بعد ان سافر الى اسطنبول، ومحرراً لجريدة سبيل الرشاد عام (١٩٠٩م)، وأنتخب عضواً في مجلس المبعوثان عام (١٩١٢ م) وأعيد انتخابه عام (١٩١٤م)، وفي عام (١٩٢٠م) عُين مدرساً في دار المعلمين في القدس، وفي عام (١٩٢٣م) عاد الى بغداد وأصدر فيها مجلة الأول، وفي نفس العام أنتخب عضواً في مجمع اللغة

(١) خلوصي، معروف الرصافي، ص٤ ؛ طبانة، معروف الرصافي، ص٨ .

(٢) هو محمود شكري بن السيد عبد الله بهاء الدين الألوسي من كبار علماء العراق نشأ في بيوت عُرفت بالعلم والفضل والورع، وتخرج جمع من علماء وأدباء وشعراء أفاضل والرصافي واحد منهم، توفي سنة (١٩٢٤ م)، وله كتاب بعنوان (بلوغ الأرب في أحوال العرب)، ينظر : خلوصي، معروف الرصافي، ص٥.

(٣)هو معروف بن فيروز الكرخي، أحد أعلام الزهاد والمتصوفين ولد في بغداد ونشأ وتوفي فيها وقبره في جانب الكرخ ببغداد، وأنه موالي الى الامام الرضا (عليه السلام) وقصدوه الناس للتبرك، ينظر : ابن خليكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص١٠٤ .

(٤)علي، الرصافي صلتي به، ج١، ص٥ .

(٥)النمراوي، الآراء الدينية، ص٧ .

(٦)علي، الرصافي صلتي به، ج١، ص٦ .

(٧) الخطاط، معروف الرصافي شاعر العرب، ص٣٩ – ٤٠ .

العربية في دمشق، وفي عام (١٩٢٤م)عُين مفتشاً في مديرية المعارف ببغداد،وفي عام (١٩٢٧م) عُين أستاذاً في اللغة العربية بدار المعلمين العالية[٨].

توفي الرصافي عام (١٩٤٥م) بداره في محلة السفينة في الأعظمية، ودُفن مقبرة الخيزران، وبُني له تمثالاً في الساحة المقابلة لجسر الشهداء، وترك الرصافي مجموعة من المؤلفات بعضها طُبعت والبعض الاخر لا يزال مخطوطاً[٩].

ثانياً:- التعريف بكتاب الشخصية المحمدية:-

يحمل كتاب الشخصية المحمدية اسماً اخراً هو (حل اللغز المقدس) لمؤلفه الشاعر معروف عبد الغني، صدر هذا الكتاب عن دار النشر (منشورات الجمل) وهي دار معروفة عام (٢٠٠٢م) الطبعة الاولى في المانيا وعدد صفحات (٧٦٦) صفحة، وبينت في بداية الكتاب الأصل (المخطوط) الذي اعتمدته، ووصفته بدقة بالغة، وبينت ما أضافته الى النص الاصلي[١٠]، وثبتت إجازة الرصافي لهذا الكتاب ((...أطلعت على هذه النسخة من كتابي الشخصية المحمدية فرأيتها صحيحة كاملة خالية من الأغلاط في النسخ، فلذا أُجيز...روايتها والنقل منها كتبت هذا أعلاماً بذلك معروف الرصافي))[١١].

والسؤال هنا لمن أجاز معروف الرصافي الرواية والنقل عنه ؟ قال صاحبه مصطفى علي: ((...ولم يكن الرجل ضنيناً بكتابه على أحد بل رأيناه مكن من نسخه كثيراً ممن طلبوا منه أن ينسخوه حتى انتشرت نسخه بين القراء، واطلع عليه من رام الاطلاع، وقد سمح بقراءته لكثير ممن رغبوا في قراءته، ولكنني كنت أمتنع عن أن أُعطي أحداً نسختي يقرأها إلا بأذن من الرصافي نفسه، ولم أُعطها إلا لصديق واحد أعتمد عليه ينسخها بعد أن رأيت الكتاب قد تعدد ناسخوه وكثر قارئوه))[١٢].

وذكر مازن لطيف في إحدى مقالاته: ((تبين لي أن هنالك ثلاث نسخ من هذه المخطوطة، النسخة الأولى كانت بخط مؤلفها الشاعر معروف الرصافي وهذه النسخة كانت محفوظة لدى الأستاذ محمود السنوي، وانتقلت فيما بعد الى الأستاذ جمال الالوسي، اما النسخة الثانية فكانت بخط الأستاذ مصطفى علي، انتقلت فيما بعد الى الأستاذ جمال الالوسي، أما النسخة الثالثة فكانت بخط المرحوم كامل الجادرجي وقد اعتمد الجادرجي على نسخة الرصافي في أربعة مجلدات، وتوجد نسخة مصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي وهي موجودة لدى أسرة الجادرجي في بغداد ...))[١٣].

ويتضح مما تقدم ان كتاب الشخصية المحمدية قد أطلع عليه أكثر من شخص، والسؤال هنا لماذا لم يناقش أحدهم القضايا والمواضيع التي تم طرحها في هذا الكتاب ؟ وهل كانت نسخة صاحبه مصطفى علي تختلف عن بقية النسخ ؟ لماذا التزموا الصمت ؟ ام أنهم مؤيدون لآراء معروف الرصافي، أو ربما نُشرت تلك النسخ بشكل متفرق ؟

---

(٨) بطي، الصحافة في العراق، ص٦٧ــــ ٦٨ ؛ الخطاط، معروف الرصافي شاعر العرب، ص٥٠ .

(٩) للمزيد ينظر : علي، الرصافي صلتي به، ج١، ص٨٧ــ١٨٥ــ٣٤٦ .

(١٠) الرصافي، الشخصية المحمدية،ص٦ .

(١١) الرصافي، الشخصية المحمدية،ص١٣.

(١٢) علي، الرصافي صلتي به،ج١، ص٢٥٣.

(١٣) من مقال الأستاذ مازن لطيف (خواطر وذكريات)، تاريخ الزيارة ٢٠٢٦/٦/٣ .

لقد ذكر صاحب مقال (خواطر وذكريات):((... في أحد الأيام حصلت على كتاب الأستاذ الدكتور محمد حسين هيكل الذي عنوانه (حياة محمد)...والأهم أن هذه النسخة هي النسخة الشخصية للشاعر معروف الرصافي التي كانت تحمل اسمه وتعليقاته المتميزة بقلم الرصاص، وكان قسم من تعليقاته يقول فيها: أرجع إلى كتابي (الشخصية المحمدية) وطبعا كان الكتاب مخطوطاً... وبعد سبعين عاماً طُبع الكتاب في المانيا، ومنع الكتاب في أكثر من الدول العربية، وقد كانت النسخة المطبوعة هي نسخة المرحوم كامل الجادرجي بعدما حصل عليها صاحب دار الجمل الشاعر العراقي خالد المعالي من وريث المرحوم كامل الجادرجي وهو المعمار المرموق رفعت بن كامل الجادرجي ...)) [١٤].

بدأ الرصافي بتأليف كتابه (الشخصية المحمدية) عام (١٩٣٣م)، فقال: ((وأنا اليوم عند كتابة هذا في منزل من الفلوجة منقطع عن رسائل البحث والتنقيب، ليس لدي من الكتب ما أرجع إليه، فليعذرني القارئ إذا قلت له أنني لا أستطيع الآن أن أُجيب على هذا السؤال بشيء)) [١٥]،بقول الرصافي هذا فأنه يعترف بخطأه إلا أنه يواصل الكتابة، فهل كان هذا الكتاب (الشخصية المحمدية) هو ردة تجاه العلماء والمفكرين في عصر ؟ ام أنه أراد قراءة المستقبل ويُبرأ نفسه مما كتب لأنه يتعرض لضغوط قاسية ؟ فقد عاش الرصافي أكثر من ستة سنوات في مدينة الفلوجة وألف هذا الكتاب[١٦].

ثالثاً:- الاشكاليات حول كتاب الشخصية المحمدية:-

لم ينشر كتاب الشخصية المحمدية ألا بعد سبعين سنة، وبدأ كتابه بعبارة (باسم الحقيقة المطلقة) أي انه لم يبدأ ب(بسم الله الرحمن الرحيم)، وطيلة كتابه حينما يذكر الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) لم نعثر على عبارة (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا الأمر يحمل تفسيراً واحداً إن الرصافي أراد كان يُنكر نبوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم يستطرد الى القول بأنه يعرف أن الناس سوف تسخط عليه، لكنه لا يُبالي بسخطهم بل بإرضاء الحقيقة، والحقيقة وحدها[١٧] ((واني لأعلم أنهم سيغضبون ويضجون ويسبون ويشتمون فأن كنت على قيد الحياة فسيؤذيني ذلك منهم، ولكني سأحتمل الأذى في سبيل الحقيقة ...)) [١٨].

حينما كتب الرصافي كتابه (الشخصية المحمدية) لم يكن شاب صغير أو قليل العلم والخبرة بل في أواخر حياته، وكان كتابه ضخماً لا يقدم شيئاً جديداً بمعلوماته التاريخية مقارنة بما قدمه المؤرخون وأساتذة التاريخ، بل لاحظنا عنوانات تُثير التعجب والاستغراب في قائمة محتويات (الشخصية المحمدية) مثل (هل محمد صادق فيما أخبره به وادعاه)، (محمد قبل النبوة)، (فكرة النبوة وكيف حصلت لمحمد)، (هل لمحمد كلام بعد النبوة) وغيرها من العنوانات، وتكلم الرصافي عن حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبيئته، وظروف الدعوة إلى امتداد أمته (صلى الله عليه وآله وسلم) .

لقد أعلن الرصافي منذ بداية كتابه بتكذيبه للتاريخ تكذيباً تاماً، واستند إلى هذا الاعتقاد بأن التاريخ يكتبه البشر، والبشر يخضعون للمصالح والأهواء، ولا يمكن كتابه

(١٤) للمزيد ينظر : مقال مازن لطيف، (خواطر وذكريات)، تاريخ الزيارة ٢٠٢٦/٦٥/٣،.

(١٥)الرصافي، الشخصية المحمدية، ص٢٠ .

(١٦) عز الدين، الرصافي قصة حياته،ص٢٤٤ .

(١٧)عوض، هلاوس معروف، ص٦٤ .

(١٨) الشخصية المحمدية،ص١٤ــ١٦ .

التاريخ كتابة صادقة، وان الصدق منه لا يعدو أن يكون نسبة ضئيلة وسط هذه الأكاذيب[١٩]، حتى انه يشكك بأمية الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وذكر:((أن محمداً كان يقرأ ويكتب وأطلع على كتب اليهود والنصارى ونسخ منها نصوصاً كثيرة في القرآن الكريم، ويقصد بالأميين وقتها هم الذين يملكون كتاباً سماوياً كالتوراة والإنجيل أي الأميين ـ غير اليهود ـ في التعبير اليهودي، لاعتقادهم شعب الله المختار وان الله عز وجل خصهم بكتاب من عنده))[٢٠] .

ولم يقف الأمر عند هذه النقطة بل يتعداها فشكك بمسألة الوحي، وزعم الرصافي أن كل ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو عبارة عن نوبات صرع، وهذا الافتراء هو استخفاف بعقول القراء[٢١]، وأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كاذب في دعواه الوحي، ثم يذكر ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كذب من أجل المصلحة العامة، وهي هنا مصلحة سياسية، أي أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) نادى بالتخلي عن عبادة الآلهة المتعددة من أجل عبادة الواحد الأحد، ولإيمان بالله عز وجل وأن كذب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ما هو الا عبقرية وحقق نجاحاً من خلاله، أي ليس كذباً بالمعنى السيء والسلبي، استطاع ان يجعل أسمه يذكر في الاذان والشهادتين أي قرنه باسم الله تعالى، وهذا الأمر جعل من دعوته مستمرة وحققت نجاحاً كبيراً، بمعنى أن أعظم انجازاته (صلى الله عليه وآله وسلم) تقوم على الكذب[٢٢].

والسؤال هنا كيف أستطاع مثل الرصافي ان يتجرأ ويرمي الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالكذب ؟ أمثل الصادق الأمين يُتهم على هذا النحو السيء دون ان يحكم عقله ويتكلم بمنطق أو يشعر بالخل ؟ ويدرك أنه لم يأتي بتاريخ البشرية ولا مقبل الأيام أصدق من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) .

وتطرق الى مفردة (اقتران الدعوة بالسيف)، ويرى الرصافي أن السيف وسيلة رادعة حلت محل الموعظة، وانتقى لهذا الزعم ارتداد الكثير عن الإسلام بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ان التف حوله المهاجرون والانصار وأصبح له شأناً عندما انتقل (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة (يثرب)[٢٣]، وغاية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هي سياسية بهدف إقامة دولة ولم تكن لديه نوايا إصلاحية، وأستدل على ذلك بفرض الجزية على أهل الكتاب مقابل البقاء على دينهم[٢٤]، أن الله عز وجل أرسل رسوله رحمة للعالمين جاء بقوله تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)**[٢٥]، وهنا دلالة واضحة ضد زعم الرصافي، وقوله تعالى: **(وَما أرسَلناكَ إِلّا كافَّةً لِلنّاسِ بَشيرًا وَنَذيرًا)**[٢٦]، وان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء ليبين طريق الإسلام القويم .

---

(١٩) الرصافي، الشخصية المحمدية، ص١٦ .

(٢٠) للمزيد ينظر : مفردة العرب اميون ومحمد منهم، الرصافي، الشخصية المحمدية،ص١٦٦ــ١٧٢.

(٢١) الرصافي، الشخصية المحمدية،ص١٤٥؛ سنتطرق لهذا الموضوع بشكل مفصل في المبحث الثاني .

(٢٢) الرصافي، الشخصية المحمدية، ص٤٥ــ٤٧.

(٢٣) الرصافي، الشخصية المحمدية، ص٢٨٤ــ٢٨٦.

(٢٤) الرصافي، الشخصية المحمدية، ص٢٠ .

(٢٥) سورة الأنبياء، الآية : ١٠٧ .

(٢٦) سورة سبأ، الآية : ٢٨ .

لقد تطرق الرصافي إلى مفردة (هل لمحمد معجزات) وحينما أسترسل في الكلام يذكر أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يأت بمعجزة ظاهرة للعيون، وان الأنبياء الذين سبقوا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد جعل الله لهم اية ومعجزة حتى الذين اعترضوا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالأذى كان أبسط رد على لسانهم: موسى شق البحر أمام بني إسرائيل، وجعل عصاه تتحول إلى ثعبان، وعيسى أحيا الموتى وشفى الأبرص والأعمى، اجعلنا نرى معجزتك كي نصدقك: والحق أن محمداً لم يملك معجزة سوى القرآن، وعندما شكى هذا الأمر لربه جاءه الوحي مؤكداً له الفكرة نفسها[٢٧].

وكان الرصافي يستخف بمقدرة الله عز وجل وكيف أعطى النبوة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لكنه في نفس الوقت ناقض نفسه بأن معجزة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هي القرآن الكريم، وهذا يدل على أن الرصافي انتقائي بالموضوعات، وعادة يعتمد على رأيه وقناعته الشخصية في أغلب مفردات كتابه (الشخصية المحمدية) .

ومن الإشكاليات التي أثارها كتاب (الشخصية المحمدية) ما ذكره المؤلف ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أحب أكثر شيئين في حياته (الطيب والنساء) [٢٨]، وهذا الزعم لا يحمل الا معنى واحد أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أجل وأرفع من هذا الشيء بأنه كان منغمس بملذات الدنيا أكثر من نشر مبادئ الإسلام القويم .

خلاصة ما تقدم يتضح أن كتاب (الشخصية المحمدية) لا يخلو من الإشكاليات التي تتعارض مع العقيدة الإسلامية، ومن جهة أخرى فأن الرصافي قد ناقض نفسه بعدما وصف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنه شخصية عظيمة إلا أنه ينكر نبوته منذ البداية، وان القرآن الكريم هو من تأليف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وربما تميز كتاب الشخصية المحمدية بشيء وهو أنه لم يسيس ولم تكن كتابته لجهة معينه سواء على الصعيد السياسي أو الديني وإنما كان كتابه مادة غنية لأعداء الإسلام .

وتعتقد الباحثة ان العقلية السائدة في العراق في الفترة التي أنجز كتاب (الشخصية المحمدية سنة ١٩٣٣م) لم تكن تخلو من شخصيات تمتلك المقدرة على تفكيك وتحليل النص التاريخي وعليه فأن من أطلع على كتابه كانوا يعدون على اصابع اليد الواحدة، ولو نشر الكتاب في ذلك الوقت لوجد من تصدى له ونقض كل الافتراءات الواردة فيه، ومن جهة أخرى أن حجم الكتاب يوحي لقارئه انه جمع أهم تفاصيل حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهنا أصبح الرصافي قد شغل بهذه المادة عقل المهتمين لشخص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى من غير المسلمين بل والمسلمين أنفسهم .

٣.المبحث الثاني: المصادر التي وظفها الرصافي في نزول الوحي

ان الخزين اللغوي والمعرفي والديني عند معروف الرصافي كان له دور كبير في تنمية خلفيته الثقافية، وبالتالي أصبح من السهل عليه طرح كتابه (الشخصية المحمدية)، لأن اللغة اختصرت له الكثير من المواضيع

(٢٧) الرصافي، الشخصية المحمدية، ص٢٠ .

(٢٨) الرصافي، الشخصية المحمدية، ص٢٨ .

التي استطاع من خلالها الخروج بنتيجة ذكية، ربما اقترن ذلك بأفكار لم تكن وليدة فترة كتابته لهذا الكتاب لعلها كانت تراوده منذ زمن .

لقد تحدث الرصافي عن كل صغيرة وكبيرة من حياة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، إلا أنه لم يهتم بالغيبيات والمعجزات ووصف تلك المسائل ما هي إلا اساءة من الرواة بحق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)،على سبيل المثال أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يعرف علوم عصره قبل القراءة والكتابة وان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو حلقة وصل لقدرة الله عز وجل[٢٩]، **(وَما يَنطِقُ عَنِ الهَوى * إن هُوَ إلّا وَحيٌ يوحى)**[٣٠]، وان معروف الرصافي تحدث عن مسألة نزول الوحي وهذه المفردة من الأمور الحساسة والمفصلية في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وفسرها تفسيراً نفسياً مبتعداً عن الغيبيات وانه ينظر لدراسة هذه المفردة من منظور عقلي، ووظف لغة وأدوات زعم أنه لم يبتعد بها عن الإسلام[٣١] .

ذكر المؤلف في مقدمة كتابه (الشخصية المحمدية) نقداً جريئاً إذ يقول: ((حتى أصبحت لا أقيم للتاريخ وزناً، ولا أحسب له حساباً لأني رأيته بيت الكذب ومناخ الضلال، و متشجم أهواء الناس اذا نظرت فيه كنت تأتي منه في كثبان من رمال الأباطيل قد تغلغلت فيها ذرات ضئيلة من شذور الحقيقة، فيتعذر أو يتعسر على المرء أن يستخلص من طين أباطيله ذرات شذور الحقيقة))[٣٢].

ان المصادر التي اعتمد عليها الرصافي في مؤلفه بشكل كبير هو كتاب (إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون) المعروف ب(السيرة الحلبية) لمؤلفه الحلبي من أعلام القرن الحادي عشر)[٣٣]، والحلبي من المتأخرين في كتابة السيرة النبوية، وكتابه يعد مرجعاً قياساً بالمصادر الأولية للسيرة، ومن جهة أحرى ان أغلب الروايات التي ذكرها الحلبي بسند ضعيف، وصرح الحلبي أنه اعتمد على بعض المصادر، وبعضها الاخر لم ترد في المصادر الأصلية بل من مصادر متنوعه لم تصل ألينا وان كانت من مصادر المؤرخين، والحلبي أورد بعض الإسرائيليات في سيرته، كان أعلبها متعلق بموضوع بشارة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنبوة، وقد أعتمد الرصافي بشكل كبير على هذا الكتاب طيلة مؤلفه، وعلى وجه التحديد في مفردة الوحي ونزوله على الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

والسؤال هنا لماذا اعتمد معروف الرصافي على الحلبي في موضوعات كتابه (الشخصية المحمدية) ومن ضمنها موضوع الوحي ؟ والجواب على هذا التساؤل هو ان صاحب السيرة الحلبية وأن كان قد بذل جهداً

(٢٩) الرصافي، الشخصية المحمدية، ص١٦٢ ــ ١٦٣ .
(٣٠) سورة النجم، الاية : ٢ ــ ٣ .
(٣١) عز الدين، الرصافي قصة حياته، ص٣١٤ .

(٣٢) الرصافي، الشخصية المحمدية، ص١٥ .
(٣٣) هو علي بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن عمر ابو الحسن يكنى بالحلبي ولد سنة (٩٧٥هـ) تولى التدريس في المدرسة الصالحية، وان شيخه الأكبر البكري (ت : ٩٩٢هـ) فأخذ عنه العلوم، وأكثر من الثناء عليه في مقدمة كتابه (السيرة الحلبية)، والحلبي، نحوي لغوي، فقيه، صوفي، ينظر : كحالة، معجم المؤلفين، ج٢، ص٣٨٦ .

ووقتاً لإخراج كتابه ، واتباعه الأسلوب العلمي في توثيق المعلومة، وكان يرجح بين الروايات عندما يتسنى له ذلك ويعلل سبب الترجيح[٣٤]، الا أن كتاب السيرة الحلبية كتاب ضخم وشامل تحدث علي الحلبي به عن أحداث كثيرة فاستسهل الرصافي هذا الأمر مقارنة مع المصادر الأولية التي تحتاج إلى النقد والتحليل وتمحيص النص ابتداءً من سند الرواية إلى محتواها وبطبيعة الحال اعتماد الرصافي عليه جاء من اختصار هذا الجهد في التدقيق .

وعلى الرغم ان (صاحب السيرة) لم يكن أديباً أو روائياً أو قاصاً ألا أنه وظف خياله في صناعة الحدث، فغلب الطابع القصصي والأسطوري على معظم رواياته التاريخية، ناهيك عن الاسرائيليات التي تضمنتها رواياته، وجاء ذلك على هوى الرصافي بدليل ما ذكره في مقدمة الكتاب فكان اسلوبه نقدياً جريئاً في عرض المعلومة التاريخية، بل مرر فكره الإلحادي ودافع عنه، وتطاول على شخص الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ودخل بجدل حول القرآن ومدى مناسبته لذكاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: ((... اذل نظرنا في الحجج القرآنية وجدناها ليست في الدرجة التي تناسب ذكاء محمد)) [٣٥].

كما ان تبرير قلة المصادر المتوفرة لكتاب الشخصية المحمدية لا يعفي الرصافي من الرجوع الى المصادر الأولية التي تخص السيرة النبوية، كونه استغرق مدة طويلة في كتابة مؤلفه (الشخصية المحمدية) مما يتيح له الرجوع إلى هذه المصادر .

لقد كانت شخصية الرصافي مثيرة للجدل، وكان انتقائياً في توظيف المصادر، ربما اراد ان يوجه الأنظار اليه، والمصدر التي اعتمد عليها ما هي الا مكملة لما بدأه من فكرة غير صحيحة ظاهرها مدح وباطنها ذم محاطة بالخداع والحيلة، فنكر النبوة وفسر نزول الوحي ما هي الا نوبات صرع قد مر بها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولم ينزل عليه القرآن لأنه من تأليف خياله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولم يكتفي بذلك بل أن التوحيد هو من اختراع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) [٣٦].

ذكر الرصافي بشكل صريح بخصوص المصادر التي اعتمد عليها في كتابه (الشخصية المحمدية) قائلاً: ((وأنا إذ كان عملي ناقصاً فسببه قلة المصادر التي لدي فأنا الفت هذا الكتاب، وليس لدي من أمهات المصادر سوى أربعة، وهي: السيرة النبوية للحلبي، وسيرة ابن هشام، والتفسير للزمخشري، ومعجم البلدان، وهذه الكتب الأربعة هي أيضاً ليست ملكي، وإنما استعرتها من السيد مصطفى علي)) [٣٧].

ان مصادر الوحي في كتاب (الشخصية المحمدية) لم تبلغ عدد اصابع اليد الواحدة، وابتعد الرصافي عن الرجوع إلى المصادر الأولية والأصول الصحيحة في عرض الرواية التاريخية، فتحدث عن مواضيع مهمة جداً وحساسة ومفصلية في تاريخ السيرة النبوية، الا انه كان انتقائي بالمصادر واحتكم اليها، وهذا الأمر مخالف

(٣٤) أن مسألة الترجيح واضحة عند تعرضه لقصة إسلام سلمان المحمدي وفي مولده، ونسبه وتسميته ؛ للمزيد ينظر : الحلبي، السيرة الحلبية، ج١، ص ٣٠٣ – ٣١٨ .

(٣٥) الرصافي، ص٧٧ .

(٣٦) كوزي، رحلة الرصافي،ص١١ــ١٢.

(٣٧) عز الدين، الرصافي قصة حياته، ص١١٠ .

لأصول البحث العلمي، لأن استعانة الباحث بمصادر محدودة وقليلة قد تحجب عنه رؤية الحقيقة، ويصبح رهين تلك المصادر، وصاحب (السيرة الحلبية) لم تكن كتابته تاريخية بقدر ما هي أسطورية قصصية (أن فيها حشواً وقصصاً إسرائيلياً)[٣٨] .

كما أن صاحب (السيرة الحلبية) ذكر أن ما جاء من أمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من أحبار اليهود والرهبان من النصارى[٣٩]، وهذا ما نجده عند الرصافي وأعتمدها كمعلومة داخل مؤلفه دون أن يبذل جهداً بالدقة والتحليل والاستقراء واعتبر نزول الوحي مادة دسمة وداعمة لفكره وافترى على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بوصف انه مصاب بالصرع، وهذا الافتراء لم يأتي عند الرصافي فجأة بل سبقه بعض المستشرقين والمؤرخين وقد أيد آرائهم، فغوستاف لوبون قال:((ويجب عد محمد من فصيلة المهووسين من الناحية العلمية كما هو واضح، وذلك كأكثر مؤسسي الديانات...))[٤٠] .

وكان الأجدر بالرصافي عدم اقحام نفسه فيما يجهله، لأنه سمح بانطباع اراءه وتأثراته الاستشراقية واراء الحلبي صاحب (السيرة الحلبية) أن تنعكس على مؤلفه (الشخصية المحمدية) ونتج عن ذلك صدور اراء منه لا تمت بصلة الى العقل والعلم بشيء وقال: ((كنت أدونها كلما خطر لي خاطر حول هذا الموضوع)) [٤١]! اذاً عنده خواطر وليس استدلال علمي يعتمد به على الدقة والتحليل، بل قدم ترهاته التي عُرفت بالقبح والسوء.

لقد وجد الرصافي في كتاب (السيرة الحلبية) مادة بعيدة عن الروايات المتعارف عليها، اتصفت بالطابع الاسطوري أخرج منها مادة للنقد تحتوي على مأثورات اسرائيلية خصوصا في تفسير نصوص الوحي مثل حادثة شق الصدر، ثم ينتقل الرصافي في مفردة الوحي بالاعتماد على مصدر آخر وهو ابن هشام[٤٢]، وقد أثر هذا الكتاب على المؤلفات المتأخرة في طريقة العرض والتبويب، ونلاحظ تأثير ابن هشام على المتأخرين، وأن كتاب السيرة النبوية لا يخلو من الروايات الموضوعة.

وذكر الرصافي: ((فمحمد بن اسحاق لم يدون ما دونه من أخبار السيرة المحمدية إلا بعد أن مر عليه من الزمن ما يزيد على مائة سنة، وقد كانت هذه الأخبار في هذه المدة كلها تناقلها الرواة وتلوكها ألسنتهم، فكانت موضع خطبهم وخلطهم، ملعب أهوائهم ومسرح تحزباتهم المذهبية والسياسية، حتى وقع فيها من الزيادة والنقص ما وقع، وجرى فيها من التغيير والتبديل ما جرى، وحصل فيها من الاضطراب والتناقض ما حصل، وحتى أنك لتجد الأمر الواحد روايات متعددة متخالفة ومتباينة، وتجد في الأمر الواحد روايتين إحداهما تقول بالنفي والأخرى بالأثبات، إلى غير ذلك من الاضطراب والاختلاف)) [٤٣]، ان سيرة ابن اسحاق (ت: ١٥١هـ/٧٦١م) ((أقدم سيرة تكاد تكون محفوظة

(٣٨) علي، المفصل، ج١،ص٦٩ .
(٣٩) الحلبي، السيرة الحلبية،ج١،ص٢٩٨ــ٣٠٤ .
(٤٠) حضارة العرب، ص١١٨ .
(٤١) الرصافي، الشخصية المحمدية،ص١٥ .
(٤٢) ابو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت : ٢١٨ه / ٨٣٣ م) وهو مؤرخ ونحوي ومهذب سيرة ابن اسحاق ولد في البصرة، وعاش بعد ذلك في مصر وتوفي في الفسطاط، ينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص٤٢٩ .
(٤٣) الرصافي، الشخصية المحمدية،ص٥٣.

بكليتها ... وقد وصلت الينا منقحة من قبل ابن هشام))[٤٤].

لقد هذب ابن هشام سيرة ابن اسحاق وان كتابه من أشهر كتب السيرة النبوية[٤٥]وعلى الرغم من اعتماد الرصافي على هذا الكتاب في مؤلفه (الشخصية المحمدية) الا انه انتقد ابن هشام وقال:((وعندي أن ابن هشام اساء إلى العلم وإلى الحقيقة معاً، باختصاره سيرة ابن إسحاق وحذفه منها اموراً كثيرة، لو ذُكرت لكنا من سيرة محمد على بصيرة أكثر مما نحن عليه الآن، لا سيما حذفه كل ما جاء فيها من سلام لخصوم محمد، ولا يمكننا الرجوع اليوم إلى سيرة ابن إسحاق لأنها مفقودة غير موجودة فأن ابن هشام لم يختصرها بل قتلها وأماتها))[٤٦].

ان الرصافي لم يكن يبحث صحة الرواية او الحديث الذي ينقله من المصادر الأولية بقدر ما كان همه ان يجد نص يمكن ان يصل به إلى معنى يحدم رأيه ونظريته وعليه أستطاع ان يمزج ما بين السيرة النبوية لابن هشام، والسيرة الحلبية لعلي الحلبي ليحقق غايته من كتابه (الشخصية المحمدية)، وان الاسهاب والإطالة قد توفرت عند صاحب السيرة الحلبية وهذا ما سعى إليه الرصافي، الا انه يناقض نفسه حينما يتساءل عن القيمة العلمية لكتاب (السيرة الحلبية) ويتحدث بأنه كُتب في العصر العباسي[٤٧]، وعليه فأنه يوظف نصوصه لخدمة افكاره واراءه حول سيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ولم يكتف الرصافي بأنه اصبح يعلل مسألة الوحي بأنها ما هي الا نوبات صرع يمر بها الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ترك الجانب التاريخي واصبح يتحدث عن الجانب النفسي، وقد سار الرصافي ومن سبقه من المستشرقين حول هذا الافتراء بأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مصاب بداء الخناق أو الصرع وان ما أورده الرصافي لا يتعدى روايات (السيرة الحلبية) وانها تثير علامات الاستفهام ومشكوك في صحتها، وقال الشيخ عبد الواحد المظفر حول هذا الافتراء: ((هل رأوا أو رأى عاقل وسمعوا أو سمع المفكرون أن مصاب بمثل هذه الأمراض من قبل عصر المسيح إلى يومنا هذا من أتى بحكمة بالغة أو صلاح ثابت أو هدى أمة أو أرشد عالماً ... وما من زمان من الأزمنة إلا وفيه من أصيب بأمثال هذه الأمراض فما الذي استفاد منهم الأنسان))[٤٨].

وذكر أيضاً: ((ان محمداً كان على حال من الحالة مالكاً لوعيه لا ينقطع عن الحس الخارجي ولا يغيب عن غيبوبة تامة، وهذه ميزة لمحمد خاصه به لم نعلم أنها أُعطيها أحد غيره من الناس، وهي المراد من قوله عن نفسه تنام عيني ولا ينام قلبي))[٤٩]، واستمر الرصافي بالتخبط والاستدلال حول أدعاء الصرع بحق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقول: ((ويدلك على أن

(٤٤) الدوري، نشأة علم التاريخ،ص٣٢ــ٣٤.

(٤٥)(... مهذب السيرة النبوية، سمعها عن زياد بن عبد الله البكائي صاحب ابن اسحاق ونقحها ...)، ينظر: الصفدي، الوافي في الوفيات، ج٩، ص١٤٢؛ الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٣٤.

(٤٦) الرصافي، الشخصية المحمدية، ص١٣٠.

(٤٧) الرصافي، الشخصية المحمدية، ص٥٢ــ٥٤.

(٤٨) المظفر، البشرى ببعثة البشير، ج١، ص٤٨.

(٤٩) الرصافي، الشخصية المحمدية، ص١١٥.

الوحي تفكير، وأنه كان تفكيراً عميقاً مؤثراً فيه ما روي عنه أنه قال: يثبتني هود وأخواتها)) [٥٠].

بناءً على ما تقدم من استدلال الرصافي ما هو الا ربط عشوائي غير متزن بعيد عن الاستقراء والاستدلال العلمي، فكان التخبط واضحاً، وما هو الشيء الذي قدمه لكي يصف نزول الوحي على الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) (تنام عيني ولا ينام قلبي) وما شأن سورة هود أو قوم هود بنزول الوحي، وخلاصة القول نذكر قوله تعالى: **(فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين)**[٥١]، أن الخيبة التي اصابت عمل الرصافي قد ضلت سعيه، لأن ما تحدث به الرصافي حول مفردة الوحي لم يُدرك أن آثار الصرع النسيان وآثار الوحي العلم والبيان، وأن النبوة شرف أختص الله به من شاء من عباده، والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) خير من حمل الرسالة السماوية .

لقد وصف الرصافي الحالة النفسية والجسمية للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنها حالة صرع وجرده (صلى الله عليه وآله وسلم) من النبوة والرسالة، إلا انه ذكي شديد الفطنة شديد الحذر من الناس قوي العزيمة عظيم الصبر حازم قوي الخيال [٥٢]، وانه أحدث نهضة عالمية كما يقول:((أعظم رجل عرفه التاريخ أحدث في البشر أعظم انقلاب عام في الدين والسياسة والاجتماع وقد أوجد هذا الانقلاب بواسطة نهضة عربية المبتدأ عالمية المنتهى بدلت مجرى الحياة الانسانية وحولتها إلى ما هو أعلى مما كانت عليه قبلها)) [٥٣].

وعند الرصافي ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أسس للديانة الإسلامية[٥٤] فقال:((إذا سلمنا بجنسية موسى المصرية فسيكون علينا من فورنا أن نفك لغزاً جديداً وصعباً فحين يتهيأ شعب من الشعوب أو قبيلة من القبائل لتنفيذ مشروع كبير، ينبغي أن نتوقع ظهور فرد يتزعم الحركة أو يحمل رفاقه على انتخابه زعيماً)) [٥٥]، لقد سبق فرويد الرصافي وأشار الى الديانة الإسلامية كونها تكراراً مختصراً للديانة اليهودية، وذكر فرويد أن النبي موسى (عليه السلام) عبقرياً وبطلاً عظيماً وقائداً للشعب[٥٦]، ويعتقد أن نبي الله موسى (عليه السلام) أسس للديانة اليهودية[٥٧]، وزعم فرويد أن التحليل النفسي يفكك ويحل الألغاز، وكان تأثيره على الرصافي واضحاً حتى في عنوان كتابه (الشخصية المحمدية) أو (حل اللغز المقدس) [٥٨].

واعترض الرصافي على الرؤيا الصادقة في المنام كونها من صور الوحي وعلى نزول الوحي، مما يقتضي أن الملك جبرائيل (عليه السلام) كان قد نزل إليه ب (اقرأ باسم ربك) [٥٩] يقظة لا مناما، فرؤية الرسول

(٥٠) الرصافي، الشخصية المحمدية، ص١١٦ .
(٥١) سورة القصص، الآية : ٥٠ .
(٥٢) الرصافي، الشخصية المحمدية،٨٠ــ٩٥.
(٥٣) الرصافي، الشخصية المحمدية،ص١٦.
(٥٤)العاني، الدين عند الرصافي، ص٤١١.
(٥٥)الرصافي، الشخصية المحمدية،ص٤٢.
(٥٦) فرويد، موسى والتوحيد،ص١٠١ــ١٢٩ .
(٥٧) فرويد، موسى والتوحيد، ص٢٥ــ ٣٨ .
(٥٨) العاني، الدين عند الرصافي، ص٤١١ .
(٥٩) سورة العلق، الآية : ١ .

(صلى الله عليه وآله وسلم) نبوة[٦٠]، اما رأي الرصافي أن ما حدث للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان في المنام لا في اليقظة[٦١].

لقد تلقف الرصافي الروايات الضعيفة التي تنسجم مع أفكاره فنقل عن (صاحب السيرة الحلبية) أن الحارث بن هشام سأل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): ((كيف يأتيك الوحي ؟ قال: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشد علي، فينفصم عني وقد وعيت ما قال ...))[٦٢]، وعلق الرصافي قائلاً: ((ففي الحديث صورتان من صور الوحي الأولي أن يسمع صوتاً كصلصلة الجرس ولا يرى شيئاً، والثانية أن يرى رجلاً يكلمه، وكلتا الصورتين لا تحصلان له إلا وهو في نوبته العصبية ... بدليل قوله: وهو أشد علي))[٦٣].

أن الرصافي يؤول النبوة والوحي الذي ينزل على الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) أشبه بحالة عصبية أي الصرع ولا صحة لهذا التشبيه، لأن الشخص الذي يصاب بالصرع عندما يصحو من نومه لا يتذكر شيء، كما ذكرنا سابقا، وأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما يتركه الوحي كان يتلو عليهم الآيات التي أوحيت إليه، وهذا يتعرض مع ما يدعيه الرصافي ومن سبقه من المستشرقين لأن تفسيرهم يفتقر إلى أبسط مقومات المنهج العلمي، وأشرنا سابقا أن (السيرة الحلبية) مشكوك في صحتها .

ونقل الرصافي عن علي الحلبي: ((ومن صور الوحي النفث في الروع . والنفث في الأصل النفخ اللطيف الذي لا ريق معه . والورع بضم الرواء القلب، فقد ذكروا أنه كان ينفث في روعه الكلام نفثاً))[٦٤]، وهنا ادعى الرصافي قائلاً: ((فالنفث في الروع هو الإلهام وهو ان يخطر لك خاطر فبي قلبك فجأة دون أن يسبقه تفكيرك فيه ... وإنما أسند محمد فعله إلى الروح القدس المراد(صلى الله عليه وآله وسلم) به جبرائيل ... والعلم الحاصل له بعد التفكر والاجتهاد في الأحكام، وبذلك يفارق النفث في الروع الذي يكون من دون أن يسبقه تفكراً اجتهاد))[٦٥]، وهنا تعرض الرصافي لعلم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإلهام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان صادقاً، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) مؤيد بروح القدس، وأن ما عرضه الرصافي حول علم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان رأي خاص بفهمه فقط [٦٦].

أسترسل الرصافي في الحديث حول الوحي ونقل عن علي الحلبي أنه: ((كان جبريل يأته في صورة دحية بن خليفة الكلبي، ودحية هذا كان جميل الصورة أسلم بعد بدر، ولم يشهد بدراً، ولا شك أن مجيء جبريل في صورته لم يكن في مكة وانما كان بعد الهجرة إلى المدينة وبعد إسلام دحية، وزعم انهم لم يذكروا صورة واضحة من صور الوحي التي جاء بها جبريل في صورة دحية سوى صورة واحدة وقعت في غزوة قريظة عقب غزوة الخندق، وذلك ان بني قريظة نقضوا

(٦٠) جابر، نبوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ص٣٢٠.

(٦١) الرصافي، الشخصية المحمدية، ص١٤٧.

(٦٢) الحلبي، السيرة الحلبية، ج١، ص٢٥٧ .

(٦٣) الرصافي، الشخصية المحمدية، ص١٤٧ – ١٤٨ .

(٦٤) الحلبي، السيرة الحلبية، ج١، ص٢٥٦ .

(٦٥) الرصافي، الشخصية المحمدية، ص١٤٩.

(٦٦) جابر، نبوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ص٣٢١ – ٣٢٢.

يوم الخندق ما كان بينهم وبين محمد من عهد وصاروا عليه مع الأحزاب، فلما أنهزم الأحزاب ورجع محمد إلى المدينة جاءه جبريل في صورة دحية يحرضه على غزوة بني قريظة ...)) [٦٧]، وهنا لم يقدم الرصافي دليلاً حول ما نقله عن صاحب السيرة الحلبية في رواية صورة الوحي بهيئة دحية الكلبي، ربما جاء الملك جبرائيل غير مرة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو في المدينة (يثرب) .

وخلاصة ما تقدم إن الرصافي أرتكب خطأً منهجياً لأنه عندما يحلل النص يهمل ما بداخله ويعتمد على التفسيرات والتأويلات الخارجية، وبطبيعة الحال ستفرز اموراً غير صحيحة ودقيقة بل مبهمة متناقضة، وقد سبقه المستشرقون باستنتاجات تقوم على الفرضيات والاحتمالات، ولم يرجعوا الى القرآن الكريم ففي داخله يطرح تحدياً والرصافي وغيره لا يرجعون التحدي القرآني.

وان ابرز مقومات الحداثة هي الحرية وهي جوهر الكائن البشري وغاية وجوده وهذا ما قام به الرصافي الحرية في النقل والتعبير إلا انه قدم في هذا الكتاب (الشخصية المحمدية) اراءه وافكاره وليس تحليلاً علمياً قائماً على البرهان والحجة.

٥.الخاتمة

لقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:-

١. أن كتاب الشخصية المحمدية كتاب ضخم يحمل بداخله من المقدمة إلى نهاية الكتاب فكرة واحدة حول نكران النبوة لشخص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأن القرآن الكريم من صنع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم تثبت نبوته لأن ما جاء به لأجل تأسيس الملك لقبيلته ورفع شأنها، ولا وجود للغيبيات والمعجزات .

أعتمد الرصافي في مؤلفه على مجموعة قليلة من المصادر لا يتجاوز عددها اربعة مصادر بشكل لا يتناسب مع ما قدمه من أحداث تاريخية تخص السيرة النبوية .

٢. تقصد الرصافي توظيف كتاب (السيرة الحلبية) و(سيرة ابن هشام) في مفردة الوحي من كتابه لغاية في نفسه، لأن أغلب الدراسات التاريخية أكدت على وجود الطابع الأسطوري والقصصي فضلاً عن الاسرائيليات في كتاب السيرة الحلبية، بالإضافة الى سيرة ابن هشام التي لا تخلو من الروايات الضعيفة والأسطورية التي لا تمت للتاريخ بصلة .

٣. التناقض الذي وقع فيه الرصافي في كتاب الشخصية المحمدية فينقد كلا الكتابين إلا أنه اعتمد عليهما وبشكل كبير في توثيق المعلومة .

٤. لم يستخدم الرصافي الأسلوب العلمي بعرض المعلومة، ويصدر من الأحكام ما يحلو له، وكان انتقائي بعرض المصادر والمعلومة وفق ما يخدم فكره ورأيه، فزج أسلوب الحداثة في كتابه فضلا عن الأسلوب الملتوي الذي سبقه إليه المستشرقون وكان عداءهم واضح للدين الإسلامي .

أن ما قدمه الرصافي هو بهتاناً وزوراً وقد ظل السبيل لأن كتاب (الشخصية المحمدية) قد خدم أعداء الإسلام من حيث لا يعلم، وليس من الضير ان يكتب الرصافي في التاريخ وعلى وجه الخصوص السيرة النبوية على الرغم من اختصاصه باللغة العربية والشعر، إلا انه من الأجدر به أن يوسع إحاطته بموضوع السيرة النبوية التاريخ، وليس كما يقول ان كتابه عبارة عن خواطر،

(٦٧) الحلبي، السيرة الحلبية، ج١، ص٢٥٣٠؛ ج٢، ص٢٣٢.

وكان عليه أن يدرك أهمية الموضوع ويكون أكثر إحاطة به .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً ـ المصادر الأولية:

- **ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم (ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)**

١. وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤ .

- **الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)**

٢. سير اعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، (د . م)، ١٩٨٥ .

- **الصفدي، صلاح الدين ايبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)**

٣. الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، ط١، دار التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠ .

ثانياً ـ المراجع:-

- **بطي، روفائيل**

٤. الصحافة في العراق، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، ١٩٥٥ .

- **الخطاط، قاسم وأخرون**

٥. معروف الرصافي شاعر العرب الكبير، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١ .

- **خلوصي، صفاء**

٦. معروف الرصافي، ترجمة: طالب عبد الجبار السامرائي، مطبعة المعرفة، بغداد، ١٩٥٣ .

- **الدوري، عبد العزيز**

٧. نشأة علم التاريخ عند العرب، ط١، مركز زايد للتراث والتاريخ، (د . م)، ٢٠٠٠ .

- **الرصافي، معروف عبد الغني**

٨. الشخصية المحمدية (وحل اللغز المقدس)، ط١، منشورات الجمل، المانيا، ٢٠٠٠ .

- **طبانة، بدوي**

٩. معروف الرصافي، ط٢، مطبعة الرسالة، ١٩٥٧ .

- **عز الدين، يوسف**

١٠. الرصافي قصة حياته، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٤.

- **علي، جواد**

١١. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، دار السافي، (د . م)، ٢٠٠١ .

- **علي، مصطفى**

١٢. الرصافي صلتي به، ط١، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤٨.

- **عوض، ابراهيم**

١٣. هلاوس معروف الرصافي في كتابه الشخصية المحمدية تحت المجهر، ط١، مكتبة التفسير، اربيل، ٢٠٢١.

- **فرويد، سيغموند**

١٤. موسى والتوحيد، ترجمة: جورج طرابيشي، ط٤، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٦ .

- **كحالة، عمر رضا**

١٥. معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، (د . م)، ١٩٩٢ .

- **كوزي، طه ابراهيم**

١٦. رحلة الرصافي من المغالطة إلى الالحاد، ط١، مطبعة تاسع الحجج (ع)، (د . م)، ٢٠٠٧ .

- **لوبون، غوستاف**

١٧. حضارة العرب، ط٢، ترجمة: عادل زعيتر، ط١، مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة، مصر، ٢٠١٢ .

- **المظفر، الشيخ عبد الواحد**

١٨. البشرى ببعثة البشير، النجف، ١٩٦٢ .

ثالثا ـ الاطاريح والرسائل الجامعية:-

- **النمراوي، ندى عايد سعيد**

١٩. الراء الدينية عند معروف الرصافي في كتابه الشخصية المحمدية دراسة فكرية نقدية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الانبار، كلية العلوم الاسلامية، ٢٠٢٠ .

رابعا ـ البحوث الجامعية:-

- **جابر، سراج حميد**

٢٠. نبوة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في فكر معروف الرصافي (دراسة في كتاب الشخصية المحمدية)، بحث منشور، مجلة ابحاث ميسان، المجلد ٩، العدد١٧،٢٠١٢ .

- **العاني، ابراهيم رجب عبد الله**

٢١ . الدين عند الرصافي من خلال كتابه الشخصية المحمدية، بحث منشور، مجلة جامعة الانبار للعلوم الاسلامية، مجلد٤، العدد ١٧، تشرين الثاني، ٢٠١٣ .

خامساً ـ المقالات:ـ

- **لطفي، مازن**

٢٢ خواطر وذكريات مع مخطوطة (الشخصية المحمدية) للرصافي، على موقع الحوار المتمدن، تاريخ الزيارة، ٢٠٢٦/٥/٣

https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=175990

References and Bibliography

The Holy Qur'an

First: Primary Sources:

- Ibn Khallikan, Abu al-ʿAbbās Shams al-Dīn Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ibrāhīm (d. 681 AH / 1282 CE)

1. Wafayāt al-Aʿyān wa Anbāʾ Abnāʾ al-Zamān, ed. Iḥsān ʿAbbās, 1st ed., Dār Ṣādir, Beirut, 1994.

- Al-Dhahabī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad ibn ʿUthmān (d. 748 AH / 1347 CE)

2. Siyar Aʿlām al-Nubalāʾ, ed. Shuʿayb al-Arnāʾūṭ, 3rd ed., Muʾassasat al-Risālah, (n.p.), 1985.

- Al-Ṣafadī, Ṣalāḥ al-Dīn Ayybak ibn ʿAbd Allāh (d. 764 AH / 1362 CE)

3. al-Wāfī bi’l-Wafayāt, ed. Aḥmad al-Arnāʾūṭ & Turkī Muṣṭafā, 1st ed., Dār al-Turāth al-ʿArabī, Beirut, 2000.

Second: References

- Buttī, Rūfāʾīl

4. al-Ṣiḥāfah fī al-ʿIrāq, Arab World Studies Institute, Cairo, 1955.

- al-Khaṭṭāṭ, Qāsim et al.

5. Maʿrūf al-Ruṣāfī: al-Shāʿir al-ʿArab al-Kabīr, Egyptian General Book Organization, Cairo, 1971.

- Khulūsī, Ṣafāʾ

6. Maʿrūf al-Ruṣāfī, trans. Ṭālib ʿAbd al-Jabbār al-Sāmarrāʾī, Maṭbaʿat al-Maʿrifah, Baghdad, 1953.

- al-Dūrī, ʿAbd al-ʿAzīz

7. Nashʾat ʿIlm al-Tārīkh ʿinda al-ʿArab, 1st ed., Zayed Center for Heritage and History, (n.p.), 2000.

- al-Ruṣāfī, Maʿrūf ʿAbd al-Ghanī

8. al-Shakhṣiyyah al-Muḥammadiyyah (Wa Ḥall al-Lughz al-Muqaddas), 1st ed., al-Jamal Publications, Germany, 2000.

- Ṭabānah, Badawī

9. Maʿrūf al-Ruṣāfī, 2nd ed., Maṭbaʿat al-Risālah, 1957.

- ʿIzz al-Dīn, Yūsuf

10. al-Ruṣāfī: Qiṣṣat Ḥayātih, Dār al-Madā, Damascus, 2004.

- ʿAlī, Jawād

11. al-Mufaṣṣal fī Tārīkh al-ʿArab Qabla al-Islām, 4th ed., Dār al-Sāfī, (n.p.), 2001.

- ʿAlī, Muṣṭafā

12. al-Ruṣāfī: Ṣilātī Bihi, 1st ed., al-Muthannā Library, Baghdad, 1948.

- ʿAwad, Ibrāhīm

13. Hallūsāt Maʿrūf al-Ruṣāfī fī Kitābihi al-Shakhṣiyyah al-Muḥammadiyyah taḥt al-Mijhār, 1st ed., Tafsīr Library, Erbil, 2021.

- Freud, Sigmund

14. Moses and Monotheism, trans. Georges Tarabichi, 4th ed., Dār al-Ṭalīʿah, Beirut, 1986.

- Kaḥḥālah, ʿUmar Riḍā

15. Muʿjam al-Muʾallifīn, Muʾassasat al-Risālah, (n.p.), 1992.

- Kūzī, Ṭāhā Ibrāhīm

16. Riḥlat al-Ruṣāfī min al-Mughālaṭah ilā al-Ilḥād, 1st ed., Maṭbaʿat Tāsīʿ al-Ḥujaj, (n.p.), 2007.

- Le Bon, Gustave

17. The Civilization of the Arabs, 2nd ed., trans. ʿĀdil Zuʿaytir, 1st ed., Hindawi Foundation for Culture and Publishing, Egypt, 2012.

- al-Muẓaffar, Shaykh ʿAbd al-Wāḥid

18. al-Bushrā bi-Baʿthat al-Bashīr, Najaf, 1962.

Third: Theses and Dissertations

- al-Namrawī, Nādā ʿĀyid Saʿīd

19. al-Ruʾā al-Dīniyyah ʿinda Maʿrūf al-Ruṣāfī fī Kitābihi al-Shakhṣiyyah al-Muḥammadiyyah: Dirāsah Fikriyyah Naqdiyyah, unpublished M.A. thesis, University of Anbar, College of Islamic Sciences, 2020.

Fourth: Academic Papers

- Jābir, Sirāj Ḥamīd

20. "Prophethood of the Messenger (peace be upon him and his family) in the Thought of Maʿrūf al-Ruṣāfī: A Study of al-Shakhṣiyyah al-Muḥammadiyyah," published paper, Maysan Research Journal, Vol. 9, No. 17, 2012.

- al-ʿĀnī, Ibrāhīm Rajab ʿAbd Allāh

21. "Religion in al-Ruṣāfī's Thought through His Book al-Shakhṣiyyah al-Muḥammadiyyah," University of Anbar Journal of Islamic Sciences, Vol. 4, No. 17, November 2013.

Fifth: Articles

- Luṭfī, Māzin

22. "Reflections and Memories on the Manuscript al-Shakhṣiyyah al-Muḥammadiyyah by al-Ruṣāfī," al-Hiwār al-Mutamaddin website, accessed: 3/5/2026.